الرموز في مرمى الغلاة

١٩/ ١٠/ ١٤٣٦هـ

مصطلح (الرموز) في حديث الناس يشـير إلى بعض فئات المجتمع ذات التأثير فيه؛ كالسياسي، والشرعي، والاجتماعي.

والرموز الشرعية هي أكثر هذه الفئات التي يحرص الغلاةُ -وعموم المنحرفين فكريًّا- على إسقاطها، لعِلمهم بقوة تأثيرها -ليس على شباب بلادهم فحسـب، بل- في العالم أجمع، وهم في هذا يطبّقون -شعروا أم لم يشـعروا- الطريقة اليهودية التي نصّـت عليها (بروتوكولات حكماء صهيون)، التي تقول: «وقد عنينـا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدّين في أعين الناس -ويعنون برجال الدين هنا: العلماء من غير اليهود-، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤودًا في طريقنا، وإن نفوذ رجال الدِّين على النـاس ليتضاءل يومًا فيومًا»[1].

بـل هذا منهـجٌ معروفٌ سـلكه قديـمًا رؤوسُ أهل البـدع؛ فهذا عمرو بن عبيد -أحـد رؤوس المعتزلة- يقول: «لو شـهد عندي عليٌّ،

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (١٨٧).

وطلحـــة، والزبير، وعثمان؛ عـــلى شِراكِ نعل ما أجزتُ شـــهادتهم!!»، وقال مَرةً مستنقصًا الإمامين الحســـن البصري، ومحمد بن سيرين: «ألا تسمعون من كلام الحسن وابن سيرين عندما تسمعون إلا خِرَق حيضة مطروحة؟!»[1].

فما أشبه الليلة بالبارحة! فأربعة من المبشَّرين بالجنّة لا تُقبلُ شهادتهم عند هذا الرقيع! واليوم يردِّدُ بعضُ الغلاة ومَن شـــابههم عبارةَ عمروٍ في علماء كبار، ويقولون عنهم: إنهم علماء حيض ونفاس!

إن الشـــاب في بواكير عمره يحتاج إلى قدوة يتمثّلها، ورمزٍ يتأسّى به، وفي البيئة المتديّنـــة تبقى فئةُ العلماء الكبار، والدعـــاةُ المؤثّرون؛ من أكثر الرموز الشرعيـــة تأثيرًا في هذه الطبقة، وكلما كان (الرمز) ذا قَدرٍ ومكانة كبيرة في نفس الشاب؛ صار مصدر إلهامٍ للشاب في حياته، ودافعًا للعمل ومزيدٍ من الفأل، فإذا حُطّم الرمزُ في نفســـه؛ فهذا يعني تحطّمَ مستقبله، وإغلاقَ نافذة الفأل التي يتنفس منها عبيرَ الأمل في هذه الأجواء المحزنة!

لهذا يلجأ الغلاة -مثل داعش وغيرهم- إلى الطريقة اليهودية في تشويه صورة هذه الرموز! يَسْبِقُ هذا كلّه حملةٌ ضخمة لتشويه الدولة التي ينتمي لها، فيُصَوَّرُ هؤلاء العلماء والدعاة في ذهن الشـــاب أنهم علماءُ سلاطين، وعُبّادُ مناصب، وطُلّابُ مال، في دأَبٍ عجيب على طمسِ عشراتِ السنين التـــي بَذَلها هؤلاء العلماءُ والدعاة في تعليم الناس ودعوتهم، وإن وجدوا زلةً هنا أو هناك ضخّموها، وأشهروها؛ في شحنٍ متواصل لتحطيم هذه الرموز في عقل هذا الشـــاب حتى تتهاوى تلك الرموزُ أمامَ عينيه، فبدلًا

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٥).

مـــن بقاء هيبةِ التقدير والإجلال اللائق بهم؛ تتحطم هذه الصورةُ لينتقل ذهنُه مباشرةً إلى الطرف الآخر، ليكون مشـــاركًا في هذه الحملة بنفســـه، وتبدأ معها رحلـــةُ البحث عن رموزٍ أخرى -إذْ لا بد له من ذلك- فأين هذه الرموز؟ وما صفاتهم؟

هنا يبدأ الدواعش -وأشـــباههم من الغلاة- في طرح (نماذج مُلْهِمة) للشـــاب، ورموزٍ منتقاة بعناية، تلتقي مع روح الشـــاب المحطّمة، التي صـــارت تلهث للبحث عن رمـــزٍ تَقتدي به بعد ســـقوط رموز بلده من ذهنـــه، فيُظهرها التنظيم في صورةِ مجاهدٍ، فـــارق أهلَه وولدَه ووطنَه من أجل إعلاء كلمة الله! وضحّى بدنياه الزائلة! ثم يحرصُ هؤلاء على إبراز الصـــورة الرمزية التي يظهر بها هؤلاء القدوات الجدد، فهو يظهر بلباسٍ خاص -عمامة وقميص وإزار-، وشـــعرٍ طويل، يحمل الســـلاح، وربما وضعه خلفه، في صورةٍ تجعله يتصـــور الفاتحين الأوائل -وهذا مقصودٌ منهم-، ليرســـخ في ذهنه أن هؤلاء هم القـــدوات الحقيقية الذين يجب التأسي بهم، واللحـــاقُ بركْبهم، وأنهم في غايـــة الطُّهر والنقاء! بخلاف القدوات الأولى التي كان يحترمها، فهي عنده غارقةٌ في الفساد، ومنغمسةٌ في الدنيا، يجب إسقاطُها فضلًا على أن تكون محلّ تأسٍّ واقتداء!

إن تحطيمَ الرموز الشرعية لا يعود ضررُه على الشاب وحدَه، بل على الأمّة كلها؛ لأن هذا يعني باختصار: اســـتيراد (رموز مجهولةٍ) لا يُعْرفُ تاريخها، ولا ســـابقتها في علـــمٍ ولا جهادٍ صحيح، بل قـــد تكون تابعةً لاستخبارات أجنبية موجّهة ضد دينه وبلده الذي خرج منه، وحينها لا تســـلْ عن الآثار المدمّرة لعقل هذا الشـــاب ووعيه، فهل أدركتَ -أخي

الشاب- كيف يخطِّط الغلاةُ لاختطاف عقلك؟ وجَعْلِكَ في خندقٍ بعيدٍ عن الرموز الحقيقة التي عرفها الناسُ بعِلمِها ودعوتها؟ لتكون في محضنِ وتوجيهِ أناسٍ لا يمكن أن تَكتب عن أحدهم ربعَ صفحة تعرّفك بحاله وشخصيته، بل أقصى ما تعرفه لقبٌ وكنيةٌ وشابٌّ حديث السنّ، لم تعركه التجارب، ولم يرســخ في علم! فهل تجعل دينك وحياتك رهنًا لهؤلاء؟ وقد قال السلف: «إن هذا العلم دِين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم»[1].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء. ط الرسالة (٤/ ٦١١)، (٥/ ٣٤٣).